

الطفل والفضاء العمراني: الانعكاسات الموضوعية على الألعاب الحركية لدى الأطفال
Children and Urban Space: Objective Impacts on Physical Games in Childhood

محمد بوته^{1*}

¹ جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة (الجزائر)، mohammed.bouta@univ-tebessa.dz

تاريخ القبول : 2025/02/04

تاريخ الاستلام : 2024/11/29

ملخص: الحركة حاجة أساسية للطفل، فهي أداة تعبير واكتشاف وتعلم، ووسيلة فعالة لتطوير مختلف جوانب شخصيته، خاصة إذا كانت في شكل لعب. هذا الشكل يحدده طبيعة التدخل (خارجي، ذاتي). كما يتحدد كذلك بمرحلة النمو والخصائص البيكولوجية الملازمة له. وهناك عنصر مهم كذلك يتعلق بالخصائص الموضوعية لطبيعة فضاء الممارسة (مدرسة، شارع، ملعب، ريف، مدينة، فضاء مفتوح.....). إن هذا الفضاء محدد رئيسي للمنطق الداخلي للعبة الحركية، ومنه يمتد إلى التأثيرات التربوية الناجمة عنها. وفي ظل التغير الاجتماعي وما ينطوي عليه من تضيق لفضاءات اللعب تطرح إشكالية الحرية الحركية للطفل وما ينجر عنها من انعكاسات نفس حركية واجتماعية. حاولنا في هذا المقال طرح بعض أبعاد هذه الإشكالية على ضوء بعض المفاهيم التي يطرحها علم السلوك الحركي (البراكسيولوجيا الحركية)، خاصة مفهوم العلاقة بالفضاء (الثبات والارتياح)، وذلك من خلال شرح الخلفية النظرية التي تناولنا فيها التحليل البنيوي الذي يبحث في بنية الوضعيات الحركية وانعكاس ذلك على وظيفتها. ثم تطرقنا لدراسة حالة، أين أجرينا مقارنة بين وضعيتين حركيتين باختلاف طبيعة الفضاء (ريف، مدينة)، وقد توصلنا إلى أن الوسط الريفي أكثر إتاحة للحرية الحركية للطفل أثناء اللعب مقارنة بالوسط الحضري، وهذا ما ينعكس مباشرة على نمو الطفل من مختلف جوانبه، لذلك يجب أخذ هذه الإشكالية بعين الاعتبار في تصميم فضاءات اللعب.

الكلمات المفتاحية: البراكسيولوجيا الحركية؛ العلاقة بالفضاء؛ فضاء اللعب؛ الفضاء العمراني؛ المنطق الداخلي.

Abstract: Movement is essential for children, serving as a tool for expression, discovery, and learning, and playing a crucial role in their personal development. This process is influenced by factors such as the type of intervention (external or internal), developmental stage, and psychological characteristics. The nature of the environment (e.g., school, street, playground, rural or urban areas) also plays a significant role, as it shapes the internal logic of physical activities and their educational impact. With social changes leading to fewer play spaces, children's freedom of movement is increasingly restricted, affecting their psychological, physical, and social development.

This article explores this issue through the lens of motor behavior science (motor praxeology), focusing on the relationship between space (stability vs. uncertainty). We analyze movement situations and their implications, presenting a case study comparing rural and urban environments. Findings suggest that rural areas provide more freedom for children's movement during play, directly impacting their overall development. This highlights the need to consider these factors in the design of play spaces.

Keywords: Motor Praxeology; Relationship to Space; Play Space; Urban Environment; Internal Logic.

مقدمة :

اللعبة هو الشكل المفضل لدى الطفل أثناء تفاعله مع محيطه، فهو محرك للنمو البدني، الذهني والوجداني لما يحمله من تجارب مليئة بالاستمتاع، لذلك فإن التحكم التدريجي في أفعاله يمر عبر تملكه لمحيطة (Guichard & Ader, 1991). هناك تصنيفات كثيرة ومتنوعة للألعاب حسب المعيار المتخذ للتصنيف؛ فقد تكون حسب هدف اللعبة، الأفراد المشاركون فيها، الأدوات المستخدمة... الخ. والألعاب التي تهمنا في هذه الدراسة هي الألعاب ذات الخصوصية الحركية، فنحن بذلك نستثني الأصناف الأخرى (كألعاب الذهن وألعاب الحظ... الخ)، وذلك لأن الخلفية النظرية التي اعتمدنا عليها هي البراكسيولوجيا الحركية التي تدرس الألعاب الحركية بصفة خاصة. فمن خلال هذا النوع من الألعاب ينخرط الطفل بكامل جوانبه في عملية التعلم، وبالحركة يبني تدريجياً صورته الجسمية وإدراكه الفضائي ويطور علاقاته بالآخرين.

واللعبة الحركية هي نشاط حركي معقد تحمل في طياتها مشكلة يحاول اللاعب حلها من خلال التعامل مع العناصر المشكلة للعبة (بنيتها): الهدف، الفضاء، الزمن، الزملاء، الخصم، العتاد... الخ. فاللاعب يوظف الجوانب الحركية: كالتوازن، المقاومة، التنقلات، تتابع حركات، تحكم في أشياء. والجوانب العلائقية: كمعالجة معلومات حول فضاء اللعب، الخصم، الزملاء، قواعد اللعبة، المخاطرة، إثبات الذات، احترام القواعد والخصم. كل هذه العناصر تسمح له باتخاذ قرارات (استراتيجيات ودكاء تكتيكي)، وبالتالي إنتاج أفعال حركية فعالة.

لذلك فإن الاهتمام والحديث عن "اللعب" باعتباره موضوعاً للدراسة في البحوث الميدانية، لا يجب أن ينحصر في البعد الوظيفي فقط، ما يجعله يخفي حقيقة مهمة وهي أن اللعب قبل كل شيء هو ممارسة موضوعية (بمعنى أن اللعبة هي كيان يمكن وصفها وقياسها ولها بنية)، وليس كما يقول (Brougere, 1991) بأن "اللعب مسألة دلالة ومعنى وليست سلوكاً خاصاً"، فهذا الباحث لم يهتم ببنية اللعبة بل ركز فقط على دلالتها في تمثل اللاعب. إلا أن هذا التصور وفق المقاربة البراكسيولوجية غير موضوعي، لأنها من حيث البنية هي ممارسات غير متجانسة. فلو أخذنا مثلاً دراسة (بوقبرين و علقمة، 2019) التي تناولت موضوع "بجال لعب الأطفال في المدن الجديدة بين التخطيط و الواقع" بالرغم من أهمية موضوع الدراسة، إلا أننا نجد أنها استخدمت عبارة "طبيعة النشاطات الممارسة من طرف الأطفال" وقد قسمتها إلى أصناف مثل "اللعب مع الجيران، الألعاب الالكترونية، ممارسة الرياضة" وكأننا نتحدث عي شيء واحد متجانس. ففي هذه الحالة لا يمكن الجمع بين الألعاب الحركية والالكترونية في صنف واحد، ثم داخل الوضعيات الحركية في حد ذاتها نجد أصنافاً كثيرة غير متجانسة. والتجانس المقصود هنا هو من حيث مكوناتها، والذي وصفناه ببنية اللعبة، حيث تشمل العناصر المشكلة لها : فكل لعبة لها زمن معين وفضاء تمارس فيه ولاعبين سواء كانوا زملاء أو منافسين، وأدوات مستخدمة للعب، ولها نظام للتسجيل والمنافسة... الخ. كل هذه العناصر تستدعي الإحاطة بها من أجل إعطاء بطاقة تعريفية أصلية للعبة على ضوء بنيتها وهي المعيار الفاصل بين مختلف أصناف الألعاب. وتظهر أهمية هذا التوجه بدرجة أكبر عندما نتحدث عن التأثيرات المرغوبة أو المنتظرة من هذه الممارسات.

من هذا المنطلق كان لا بد من إيجاد رؤية أصلية تنطلق من جوهر هذه الوضعيات، مروراً بالعوامل التي تؤثر على تشكيل بنية هذه الممارسات، وصولاً إلى الأهداف المنتظرة منها. وفضاء اللعب هو مفهوم مركزي في هذه الرؤية. والتساؤل الذي يطرح نفسه هو كيف يكون الكشف عن هذا اللاتجانس في بنية الألعاب الحركية؟ وماهي أهمية التحليل البنوي للألعاب الحركية في فهم البعد الوظيفي لها ؟

فالهدف من هذه الدراسة هو إعطاء نظرة توضيحية للمقاربة البراكسيولوجية لتحليل الألعاب الحركية والتي تعتمد أساساً على التحليل البنوي، مع التركيز على عنصر واحد فقط وهو "العلاقة بالفضاء" من جهة، وإسقاط هذا التصور النظري على حالة تطبيقية متمثلة في إجراء مقارنة بين اللعب في الفضاء الريفي والفضاء الحضري. ومن خلالها يمكن الخروج بمقترحات حول معايير فضاءات اللعب المساعدة على النمو المتكامل للأطفال.

1. التحليل البنوي كآلية للكشف عن تجانس الوضعيات الحركية:

انطلاقاً من الضرورة الملحة لدراسة الوضعيات الحركية من جوهرها والابتعاد عن التفسيرات الخارجية لها (علم النفس، علم الاجتماع، البيولوجيا، البيوميكانيك...)، كان لا بد من بناء معرفة خاصة بالسلوك الحركي (بوتة، 2020)، وهو ما عمل عليه بيار بارلوبا Pierre Parlebas منذ خمسينات القرن الماضي، حيث أسس لحقل معرفي جديد سماه "البراكسيولوجيا الحركية" « Praxiologie motrice » أو علم السلوك الحركي. ومن خلاله قدم مجموعة كبيرة من المفاهيم والتصنيفات، وضعها في معجم خاص سماه "ألعاب، رياضات ومجتمعات" (Parlebas, 1999)، هذه المفاهيم شكلت فيما بعد محاوراً، وفتحت آفاقاً للبحوث الميدانية خاصة في مجال الألعاب الحركية. من هذه المفاهيم نجد مثلاً "الفعل الحركي"، التواصل الحركي والتواصل الحركي المضاد، الاثنية الحركية، السيميائية الحركية، ميادين الفعل الحركي، الكليات، المنطق

الداخلي...."، هذا الأخير يعد من بين المفاهيم المركزية التي يستند عليها علم السلوك الحركي نظرا لاهتمامه بالبعد البنيوي للوضعيات الحركية. وفيما يلي نقدم مفهوما له ونستعرض عناصره.

1.1 مفهوم المنطق الداخلي:

يقترح بارلوبا في تحليله البنيوي للألعاب الحركية مجموعة من المؤشرات التي على أساسها يمكن إعطاء بطاقة تعريفية للعبة معينة، حيث انطلق من فكرة الخصوصية لكل وضعية حركية، بمعنى أن كل رياضة أو لعبة رياضية لها خصوصياتها الحركية، وقد سماها بعناصر المنطق الداخلي، ويعرف هذا الأخير على أنه بطاقة تعريف للعبة أو النواة الصلبة لها، أي " مجموعة المميزات الخاصة بوضعية حركية ما والنتائج التي تنجر عن القيام بالفعل الحركي الخاص بها (Parlebas, 1999). فهذا المفهوم بقدر ما يركز على بنية الوضعيات الحركية، فهو يربطها بشكل مباشر بنتائج الفعل الحركي الناتج عنها.

2.1 عناصر المنطق الداخلي :

يتضمن المنطق الداخلي حسب بارلوبا مجموعة من المؤشرات التي تعبر عن علاقة اللاعب بالعناصر المهيكل للعبة، والتي تظهر من خلال قواعدها وتحدد تصرف اللاعب على ضوءها وهي:

■ **العلاقة بالفضاء:** فضاء اللعب أو الممارسة هو مؤشر أساسي لتنظيم حركية اللاعب، فكل لعبة لها فضاء خاص يميزها، يتضمن الحدود الفضائية القانونية لفضاء اللعب، وجود مناطق وخطوط خاصة.... إلخ. بالإضافة إلى أن هذا الفضاء قد يكون ثابتا أو متغيرا؛ ففي دفع الكرة مثلا نجد أن فضاء الممارسة ثابتا يدركه اللاعب قبل الشروع في اللعبة، وبالتالي فهو يحتاج إلى حركات آلية وتصرفات حركية ملائمة معدة سابقا. أما في رياضة التجديف فإن فضاء اللعب متغير يجبر اللاعب على فك رموز هذا الفضاء ومعالجة المعلومات التي يلتقطها أثناء الممارسة من أجل التأقلم مع الوضعيات المحتملة. فهو فضاء مليء بالارتياح والشك والمفاجآت.

■ **العلاقة بالزمن:** يضم كل ما له علاقة بالبعد الزمني في اللعبة (امتلاك كرة، تواجد في منطقة معينة، قيام بحركة معينة خلال زمن محدد، زمن المباراة أو الشوط... إلخ). والزمن له تأثير مباشر على طبيعة اللعبة والاستراتيجيات المستخدمة من طرف اللاعبين أثناء اللعب.

■ **العلاقة بالأشياء:** يحدد قانون اللعبة القواعد الخاصة بالأشياء المرتبطة باللعبة، كالكرة، شبكة، مرمى، مضرب، سلة.... إلخ. حيث يحدد طبيعة هذه الأشياء وعلاقة اللاعبين بها.

■ **العلاقة بالآخرين:** كل ما يتعلق بالأفراد الذين لهم دخل في اللعبة والعلاقات التي تربطهم، التفاعلات فيما بينهم، عدد الأفراد، عدد الفرق، التوازن العددي، تغيير اللاعبين بين الفريقين، أدوار اللاعبين في الفريق الواحد، التغيير في الأدوار، العلاقة مع الخصم، العلاقة مع الزملاء.... إلخ.

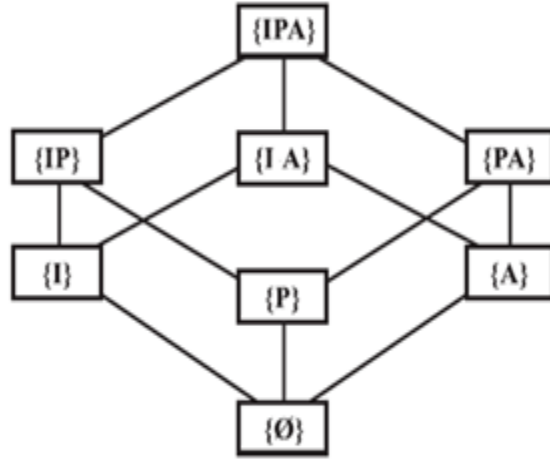
من خلال العناصر الأربعة المذكورة يتضح أن التصرف الحركي للاعب يتحدد وفقا لما يملئه المنطق الداخلي للوضعيات الحركية، وبناء على ذلك يمكن اعتباره كآلية للكشف عن التأثيرات المختلفة الناتجة عن اختلاف منطق كل وضعية. وعلى هذا الأساس حاول بارلوبا التأسيس لتصنيفات تؤدي هذا الغرض من خلال تجميع الوضعيات الحركية في فئات متجانسة أطلق عليها تسمية "ميادين الفعل الحركي". والملاحظ أن العلاقة بالفضاء معيار أساسي في هذا التصنيف.

2. العلاقة بالفضاء في اللعبة تحدد نوعية التصرف الحركي:

1.1.1. ارتباط الفضاء كمعيار لتصنيف الوضعيات الحركية :

نظرا لأهمية مؤشر الارتياح Incertitude وتأثيره العميق على طبيعة التصرفات الحركية Conduites motrices ، فقد اتخذ بارلوبا كأحد المعايير الأساسية لتصنيف الوضعيات الحركية، ومصدر هذا الارتياح يرتبط بعناصر المنطق الداخلي، فمن جهة هناك ارتباط ناتج عن الوسط الفيزيائي للوضعية الحركية من خلال علاقة اللاعب بالفضاء ويرمز له بالحرف (I)، وآخر مصدره العلاقة بالآخرين سواء كان زميلا يتواصل حركي، أو خصما يتواصل حركي مضاد أو كليهما ويرمز لهما بالحرفين (PA). وهذا الاختيار نابع من اعتبار الفرد كجزء مرتبط بمحيطه الفيزيائي، ليس بالمفهوم البيوميكانيكي ولكن باعتباره كذات مرتبطة بالبيئة. وقد نتج عن هذا التصنيف ما يسمى بميادين الفعل الحركي، وهي عبارة عن عائلات تضم وضعيات حركية تتسم بالتجانس الداخلي بشكل واضح، وهي ثمانية أصناف تتضمن وجود أو غياب واحد أو أكثر من هذه المؤشرات (IPA) ، وقد وضعها على شكل مبسط سمي بالمبسط (S3) كما في الشكل رقم (1) أسفله:

الشكل (1): ميادين الفعل الحركي



المصدر: (Vigne & Joncheray, 2012, p. 36)

وفيما يلي نستعرض خصائص كل ميدان وأمثلة عن وضعيات حركية تنتمي إليه:

- **الفئة رقم 01:** يرمز لها بالرمز ($\emptyset$)، وهي الفئة التي تضم أنشطة خالية من الارتياح ومن التفاعل الحركي مع الغير، فالممارس يكون في وضع معزول وفي وسط ثابت، مثل (رمي الكرة، القفز، الجري في الرواق، حمل الأثقال... إلخ)، تتطلب أنماطا حركية، تدريبات مكثفة ومتكررة.
- **الفئة رقم 02:** يرمز لها بالرمز (I)، وهي الفئة التي تضم أنشطة حركية خالية من التفاعل الحركي مع الغير، ولكن في وسط يسوده الارتياح وعدم الثبات، فالممارس يكون في وضع معزول وفي وسط طبيعي يتأرجح بين الألفة والوحشية حسب درجة تهيئة المحيط وكذا اعتياد الممارس عليه، وتسمى أنشطة الهواء الطلق التي من أمثلتها: التزحلق على الجليد، ركوب الأمواج، الغطس، السباحة الحرة، تسلق الجبال... إلخ.
- **الفئة رقم 03:** يرمز لها بالرمز (P)، وهي فئة تضم أنشطة حركية خالية من الارتياح الناتج عن الفضاء أو التفاعل مع الخصم، وتضم فقط الارتياح الناتج عن التفاعل مع الزميل، تستدعي التنسيق الحركي مع الزملاء مثل: التزحلق الفني الثنائي على الجليد، الرقص الكلاسيكي، الجمباز الإيقاعي الرياضي... إلخ.
- **الفئة رقم 04:** يرمز لها بالرمز (IP)، وهي أنشطة حركية تمارس في فضاء عشوائي متغير مع ضرورة التعاون الحركي مع زميل، فالارتياح الناتج عن المحيط كما في الفئة رقم 02 يصعب من التناسق الحركي الكامل والمشارك بين الزملاء كما في الفئة رقم 03، ومن أمثلة ذلك: تسلق الجبال، الزوارق الشراعية، التحديف المتعرج في منحدر... إلخ.
- **الفئة رقم 05:** يرمز لها بالرمز (A)، وهي أنشطة تتضمن مواجهة الخصم في محيط ثابت، تتسم بالمواجهة، الخداع والتصنع مثل: التنس، البادمينتون، تنس الطاولة، المصارعة، الجيدو، الملاكمة، الكاراتي... إلخ.
- **الفئة رقم 06:** يرمز لها بالرمز (IA)، وهي مواجهة بين خصوم في وسط متغير، بمعنى وجود مصدرين للارتياح في نفس الوضعية، وهي تضم الأنشطة المذكورة في الفئة رقم 02 ولكن بصفة جماعية، مثل القوارب والزوارق الشراعية، سباق الدراجات الحرة، التزحلق الطويل على الجليد... إلخ.
- **الفئة رقم 07:** يرمز لها بالرمز (PA)، وهي وضعيات حركية تتسم بالتفاعل الحركي مع الزملاء والتفاعل الحركي المضاد ضد الخصوم في وسط ثابت. وهي فئة ثرية من حيث الأنشطة الحركية مثل: الرياضات الجماعية، التنس، تنس الطاولة، البادمينتون، الكثير من الألعاب التقليدية.

■ **الفئة رقم 08:** يرمز لها بالرمز (IPA)، وهي وضعيات حركية تتسم بالتفاعل الحركي مع الزملاء والتفاعل الحركي المضاد ضد الخصوم في وسط يتميز بعدم الثبات والارتياح، تمارس في فضاءات واسعة غير معلمة، مثل العدو الريفي، سباق الدرجات، وكثير من الألعاب التقليدية. فكل ميدان من ميادين الفعل الحركي يحمل منطقاً داخلياً خاصاً به ويفرض أنماطاً معينة من الحركات خلال التصرف الحركي للممارس ويؤسس لعادات حركية معينة (Parlebas, 1999). وعليه أثناء تحليل الألعاب الحركية لابد من الأخذ بعين الاعتبار لخصوصيات كل ميدان وبالتالي التعرف على تأثيراته على اللاعبين. وفيما يلي نعرض التأثيرات الناجمة عن اللعب في وسط يتسم بالارتياح والتغير.

2.2. وظيفة الارتياح الناتج عن الفضاء:

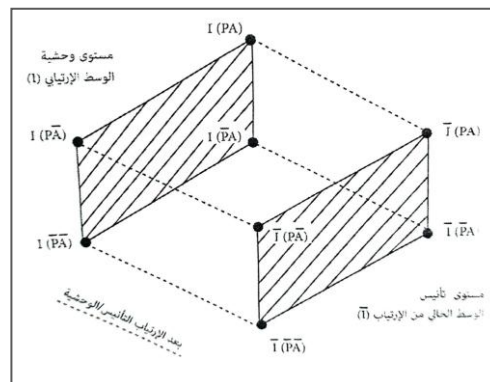
يميز (Parlebas, 1999) بين نوعين من الارتياح خلال الوضعيات الحركية:

■ **ارتياح مرتبط بالوسط الفيزيائي:** يتضمن مثيرات البيئة والعناصر الموضوعية للعالم المادي التي يصعب توقع خصائصها: صلابة وانحدار الأرضية، شدة واتجاه الرياح، وجود التيارات والحوازر، خصوصية المعدات والمحيط....). نجد هذا النوع أساساً في الوضعيات البسيكوحركية الممارسة في الهواء الطلق (رياضة التجديف، الطيران الحر، تسلق الجبال....).

■ **ارتياح مرتبط بسلوك الغير:** مرتبط بأفعال وردود أفعال الممارسين خلال مهمة حركية تتطلب تفاعلاً، سواء كان تعاوناً أو تعارضاً أو كليهما؛ بمعنى أنه مرتبط بالوضعيات السوسيوحركية أساساً، حيث يحاول اللاعب إزالة الارتياح نحو زملائه مقابل زيادته تجاه الخصوم. ففي هذه الحالة تصبح استجابة الغير جزءاً من المهمة الحركية، والارتياح يمثل هامش "اللامتوقع" فيما يخص مواقف واختيارات وقرارات المشاركين الآخرين في الوضعية الحركية.

في كلتا الحالتين يرتبط الارتياح بأهمية البعد المعلوماتي الذي تتضمنه الوضعية الحركية، والذي يخفف القدرات السيميائية الحركية لدى الفرد الفاعل من أجل تفسير التحول الفوري للوضعية. فالخيط الذي ينطوي على اللامتوقع (l'imprévu) يستدعي من الفرد تعديلات ومبادرات حركية وسلوكية باستمرار. ونظراً لتعقده وتعدد مكوناته فهو يرتقي حسب وصف بارلوبا إلى نظام لعبي Ludosystème؛ أي مجموعة العناصر البشرية والمادية (لاعبين، قواعد، وسط، أدوات، فضاء....) التي تحدد سيرورة اللعبة. فالارتياح الذي يفرضه الفضاء المجهول يدفع الفرد المنخرط في الفعل الحركي إلى التساؤل المستمر والفوري حول بيئته من أجل تقييم المسافات والسرعات وتقدير صعوبة العقبات التي تظهر فجأة، واتخاذ قرار في أي لحظة بشأن السلوك المناسب. فالفرد ليس مجرد مكرر للحركات ولكنه فاعل استراتيجي يختار - بعد استخلاصه لأكبر قدر من المعلومات ذات الصلة - استجابة حركية معينة بناءً على الاحتمالات الذاتية المقدرة (Parlebas, 1999). تختلف درجة الارتياح الناتج عن الفضاء باختلاف صعوبة فك التشفير السيميائي الحركي، لذلك قام بارلوبا بتصنيف ميادين الفعل الحركي حسب قطبي (الوحشية والتأنيس / domestication / Sauvagerie)، كما هو موضح في الشكل رقم (2) أسفله. وبين هذين القطبين توجد وضعيات حركية وسيطة تتسم بفضاء مهياً جزئياً يتحرك فيه اللاعب وفق معالم محددة ولكنها غير ثابتة. وبالتالي عليه أن يستقي المعلومات ويتزججها ثم يتخذ القرارات. بمعنى أن تصنيف الوضعيات الحركية يمكن تصورها على شكل سلم متدرج من التأنيس إلى الوحشية، أي من يقين في المعلومة مروراً بارتياح جزئي وصولاً إلى ارتياح كبير جداً. وهذا المسار هو الذي تتبعه عملية اكتساب الصفة الرياضية على الممارسات الحركية التقليدية، عملية يطلق عليها بارلوبا مصطلح Sportification

الشكل (2): ميادين الفعل الحركي حسب ارتياح الوسط



المصدر: (بارلوبا، 2021، صفحة 94)

تنعكس درجة ارتياب الفضاء على التصرفات الحركية للممارسين من حيث الصدى الانفعالي، نوع الدافعية، الدلالة الرمزية، التهيئة الحركية، القرار الحركي، الضبط الحركي. ففي الفضاء المؤنس يستبعد البعد المعلوماتي تماما من التصرفات الحركية للاعب حيث يتسم بالتنميط الحركي Stéréotype moteur، الآلية، الضبط الحسي الذاتي. أما في الفضاء المهيا جزئيا فالتصرف الحركي يتسم بآلية بسيطة وقابلة للتعديل (أخذ معلومات وقرارات متعاقبة في ضوء مخطط شامل متوقع)، أما فيما يخص الوسط الموحش فيتميز بالارتجال الحركي، لأن اللاعب يلتقط المعلومات ويتخذ القرارات بشكل مستمر وفق استراتيجية الاختيار الارتجالي والضببط الحركي الحسي الخارجي، فهو ينطوي على الاكتشاف والمغامرة والمخاطرة والتحدى الجسدي مما يسهم في تنشيط انفعالي كبير (بارلوبا، 2021).

يكسسي مفهوم الارتياب أهمية قصوى في عملية التعلم الحركي، إذ تختلف إجراءات التعلم وفقا لطبيعة الوضعية الحركية، حيث تتطلب الوضعيات الثابتة تعلما بالتكرار وصولا للآلية (التكيف) adaptation، بينما تتطلب الوضعيات المتسمة بالارتياب قدرة على التكيف المستمر adaptabilité من خلال التقاط المعلومات، توقع الوسط المتقلب واتخاذ القرارات بخصوص التصرف الحركي الملائم وفقا لذلك.

هنا تجدر الإشارة إلى ملاحظة مهمة تتعلق بالتفسير الذاتي لارتياب الوضعية الحركية (تفسير ومعالجة المعلومات المتعلقة من الفضاء)، والتي ترتبط بخصوصية وذاتية الممارس؛ بمعنى أن نفس المعلومة الموضوعية المرسل من البيئة قد يتم تفسيرها بشكل مختلف باختلاف خبرة الممارس، وبالتالي تختلف معها الاستجابة الحركية المقابلة. فكلما زادت خبرة الممارس كلما كانت هناك ملائمة بين معلومات الوسط والاستجابة الحركية، من خلال التعرف على المعلومات المفيدة في الوضعية الحركية. وفي ذات السياق يمكن للبيئة الثابتة أن تفسر على أنها حاملة لارتياب ما بالنسبة للمبتدئ الذي ليس لديه أي خبرة حول تلك الوضعية (وهذا يدخل فيما يعرف بالمنطق الخارجي للوضعية الحركية) (Parlebas, 1999)، ويدخل في هذا النطاق مرحلة نمو الطفل وما يلازمها من نقص في إدراك الأبعاد الفضائية والزمنية للوضعية الحركية.

3. فضاء اللعب يحدد المنطق الداخلي للعبة:

بناء على ما سبق الإشارة إليه بخصوص علاقة المنطق الداخلي للوضعيات الحركية بالتصرفات الحركية للاعب، والتي سلطنا فيها الضوء على البعد الفضائي باعتباره محددًا من طرف قواعد اللعبة. هذا يدفعنا إلى التفكير في الاتجاه العكسي، بمعنى كيف أن فضاء اللعب (والذي نقصد به البيئة التي تمارس فيها اللعبة بعيدا عن كونها جزء من منطقها الداخلي) يمكن أن تحدد وتؤثر في هذا المنطق (تحدد سيرورة وقواعد اللعبة وبنيتها)، وبالتالي على التصرفات الحركية للاعب بعلاقة متعددة. وتبرز أهمية المعالجة من هذه الزاوية عند تناول الوضعيات الحركية غير المؤسسية (الألعاب الحركية التي لا تكون تحت وصاية هيئة دولية) (Parlebas, 1999)، بدرجة أكبر مقارنة مع الوضعيات الحركية المؤسسية (الرياضة) على اعتبار أن قواعد اللعب تكون جد مضبوطة في هذه الأخيرة، والفضاء عادة ما يتسم بالتقنين والثبات. وإذ لا يمكن تصور لعبة دون فضاء للعب، وعليه فهو عنصر حاسم في تحديد بنيتها وتنظيمها، فهو ليس فقط يتيح إمكانية الحركة ويحدد نطاق النشاط، بل يؤثر أيضًا بشكل مباشر على البعد الوظيفي للعبة.

فشكل فضاء اللعب (مستوي، منحدر...) و مساحته، وكذلك وجود أدوات مثل الجدران أو الحواجز القابلة للاستخدام، يؤثر على توجيه نوع اللعبة المتوافقة مع هذا الفضاء، ويحدد إمكانية ارتداد الأداة (كرة مثلا) والمساحة المتاحة لعدد معين من اللاعبين. جميع هذه العوامل تُساهم في تشكيل قواعد اللعبة وسياقها (Brougere, 1991). هذه العملية تعتبر خطأ فاصلا بين نوعين متعارضين جذريا من الممارسات الحركية وفقا للرؤية البراكسيولوجية، فالممارسات الرياضية من جهة تتميز بفضاءات محددة، مقننة وموحدة، وألعاب ورياضات الشوارع في الطرف الآخر مرنة، متأقلمة مع المتطلبات المادية والفضائية (Bordes, Lesage, & Level, 2013).

في ظل التغير الاجتماعي وما ينطوي عليه من تضيق لفضاءات اللعب خاصة في الوسط الحضري تطرح إشكالية الحرية الحركية للطفل وما ينجر عنها من انعكاسات نفس حركية واجتماعية. ويظهر ذلك في الفوارق التي يمكن أن تظهر بين الأطفال في الجوانب النفس حركية باختلاف الفضاء العمراني الذي ينتمون إليه، كالفروق بين أطفال الريف والمدينة (فرج، 2018). وبالرغم من محاولات تخصيص فضاءات لعبية خاصة بالأطفال ضمن المخططات العمرانية، إلا أن الدراسات الميدانية (بوقيرين و علقمة، 2019؛ ببيمون، 2015؛ Ghenouchi, 2017) تؤكد عدم تطابق معظم مجالات اللعب المخصصة للأطفال في الواقع مع ما هو مخطط له على مستوى مخطط شغل الأراضي، وكذلك عدم تناسب فضاءات اللعب مع عدد السكان، والحالة السيئة لها وافتقارها للتجهيزات التي يحتاجها الأطفال للعب، وهو الأمر الذي أدى إلى تحول الفضاءات العمومية (الأرصقة، الطرق، مداخل العمارات، مواقف السيارات...) إلى فضاءات للعب. (أنظر الأشكال 3، 4، 5).

الشكل (3): لعب الأطفال في مداخل العمارات



المصدر: (بوقيرين و علقمة، 2019، صفحة 46)

الشكل (4): لعب الأطفال في مواقف السيارات



المصدر: (بيبيمون، 2015، صفحة 112)

هذا التحول أدى إلى عدم رغبة العائلات في السماح لأبنائهم باللعب في الفضاءات الخارجية حفاظا على أمنهم وسلامتهم (بوقيرين و علقمة، 2019). هذا الأمن قد يشمل السرقة والاعتداءات، الأوساخ والتلوث البيئي أو الحوادث الناجمة عن المركبات أو غيرها خلال اللعب (Noschis, 1992).

وللتعرف أكثر على تأثير الفضاء العمراني على نوعية الألعاب الحركية سنحاول إسقاط الأفكار التي تضمنتها الخلفية النظرية على حالة تطبيقية مأخوذة من الواقع، بحيث سنقارن بين وضعيتين حركيتين باختلاف فضاء اللعب (ريف، وسط حضري)، ونبين كيف أن معنى الارتياح قد يختلف من وسط لآخر عبر الوضعية الحركية التي يفرضها، وهذا ينعكس مباشرة على التأثيرات النفسية والحركية للطفل.

ففي الوضعية الحركية الممثلة في الشكل رقم (5) أسفله، وهي ثلاث صور تم تقطيعها من فيديو واحد (فيديو من تصوير الباحث)، والتي توضح طفلا يحاول تسلق مرتفع ترابي طبيعي في الريف، وهو وسط طبيعي غير مهيب يتميز بوجود ارتياح، نظرا لأن أداء حركة التسلق تعيقها حركة الأتربة التي تتساقط للأسفل، مما يجعل الحركة عبارة عن تحدي بالنسبة للطفل. وهو يحاول تجنب كل مهاراته النفس حركية من أجل تحقيق تسلق ناجح، وفي كل مرة ينزلق للأسفل تبدو عليه مشاعر الفرح والاستمتاع والرغبة في المحاولة من جديد. وما يلاحظ في هذه الوضعية هو عدم تضمنها أي خطر على سلامة الطفل أثناء اللعب، كما يمكن أن تتحول اللعبة من تحدي للذات إلى منافسة بين عدة أطفال في حالة وجود مجموعة من الأطفال في نفس المكان، مما يعني أنها يمكن أن تتخذ عدة ميادين للفعل الحركي حسب التصنيف المقدم أعلاه في الشكل رقم 2. وبالتالي فالوضعية ثرية جدا من حيث التأثيرات التربوية الإيجابية (حركيا، نفسيا واجتماعيا). فهي تنمي التحمل العضلي والقوة والإرادة والاستقلالية والمنافسة. والطفل عندما يلعب في فضاء طبيعي مليئ بالتغير والارتياح تكون له فرصة أكبر للتعلم والابداع من خلال الحرية في اتخاذ القرارات وحل المشكلات التي تواجهه (MEES, 2018).

الشكل (5): نموذج لوضعية حركية في الريف



المصدر: الباحث

أما إذا انتقلنا إلى الشكل رقم (6) (صور متاحة على الانترنت، وكثيرا ما نجدها في الفضاءات المهيئة للعب في الأحياء السكنية للمدن). وهي عبارة عن وضعية حركية تمارس في وسط حضري مهيئ للعب الأطفال، تتضمن كما في الوضعية السابقة عملية تسلق، إلا أن طبيعة الفضاء وتجهيزات اللعب المستخدمة خالية من الارتياح الناتج عن البيئة، نظرا لثبات أداة اللعب. فالطفل على علم مسبق بضرورة الوضعية الحركية، مما يعني افتقارها لعنصر المفاجأة والتوقع. وبالتالي خلوها من الفوائد التربوية لهذا العنصر والتي ذكرناها سابقا في وظيفة الارتياح. ولكن من جهة أخرى بالرغم من ثبات فضاء اللعب إلا أنه يحمل أخطارا بالنسبة للطفل، نتيجة صلابة المواد التي صنعت منها تلك التجهيزات (حديد)، عدم مراعاتها للفروق الفردية بين الأطفال، صلابة الأرضية في حالة السقوط، عدم تناسب عدد التجهيزات مع عدد التلاميذ. كل هذه العوامل تجعل اللعب يحمل مخاطرة أكبر مقارنة بالنواتج التربوية الإيجابية سواء على المستوى الحركي، النفسي أو الاجتماعي. وفي هذا الصدد أجريت دراسة ميدانية بولاية تيزي وزو على 40 تلميذا، تم فيها إجراء مقارنة بين أطفال الريف والمدينة في تأثير اللعب الحر الذي يوفره الفضاء المتاح للعب على القدرات البدنية والحركية للأطفال، حيث توصلت إلى أن أطفال الريف يتفوقون على أطفال المدينة في أغلب الاختبارات البدنية والحركية التي أجريت مثل: التحمل، القوة، السرعة، التوازن، الرشاقة (تكرات و بوحراز، 2018). وهذه النتيجة تدعم بقوة أهمية طرح إشكالية فضاء اللعب وتأثيرها على النمو المتكامل للأطفال.

الشكل (6): نموذج لوضعية حركية في وسط حضري مهيئ



المصدر: الباحث

عندما نلاحظ الشكل رقم (7) أسفله (فيديو من تصوير الباحث كذلك)، وهي وضعية حركية تم فيها استغلال الأطفال لفضاء مخصص لمشروع بناء سكنية، حيث يحاولون الوثب لاجتياز الحفر الموجودة والسقوط على الطرف الآخر من الحفرة. فهذه الوضعية من الناحية البراكسيولوجية تمارس في بيئة متغيرة، حيث هناك مصدرين للارتياح، الأول هو ارتياح ناتج عن الآخر، نظرا لعدم وجود قواعد قانونية تحكم التداول على عملية الوثب، مما يعني إمكانية حدوث تصادمات بين الأطفال وتأثير الفعل الحركي لطفل على آخر. والمصدر الثاني للارتياح هو مرور السيارات عبر الطريق المحاذية

لفضاء اللعب، والذي يستخدمه الأطفال كمسار للجري (جري الاقتراب كما في رياضة الوثب الطويل). وهذا الارتياح يشكل إعاقة بالنسبة للحرية الحركية للطفل نظراً لأنه يعد خطراً بالنسبة للأطفال، خاصة في ظل وجود فئات عمرية غير متجانسة في تقديرها وإدراكها للسرعات والمسافات. فالطفل في مثل هذه الوضعية يبحث عن التحدي الذي يتضمنه الوسط الطبيعي ولا يجده في الوسط الحضري المهيء، مما يجعله يقبل المخاطرة في سبيل البحث عن الاستمتاع والاكتشاف. وقد تحدث بعض الباحثين عن هذه الإشكالية التي يعاني منها أطفال المناطق الحضرية، وهي إشكالية الانفصال المتزايد بين الأطفال والطبيعة في المجتمع الحديث، حيث وصفها Richard LOUV باضطراب نقص الطبيعة في كتابه Last Child in the Woods: Saving Our Children from Nature-Deficit Disorder، لأن احتكاك الطفل بالفضاء الطبيعي عبر اللعب يضمن له حرية الحركة، مما يمكنه من اكتشاف وتجربة الأنشطة التي تجعله يبذل المزيد من الطاقة وبالتالي يطور مهاراته الحركية (MEES, 2018). وقد أثبتت العديد من الدراسات أنه كلما زاد الوقت الذي يقضيه الطفل خارج المنزل كلما زاد مستوى نشاطه البدني (Cleland, Crawford, Baur, Hume, Timperio, & Salmon, 2008 ; Ferreira, Van Der Horst, Wendel - Vos, Kremers, Van Lenthe, & Brug, 2007 ; Fjørtoft & Sageie, 2000) ، خاصة إذا كان في فضاء طبيعي واسع (Grigsby-Toussaint, Chi, & Fiese, 2011).

الشكل (7): نموذج لوضعية حركية في محيط عمراني (الارتياح كخطر)



المصدر: الباحث

خاتمة :

من خلال هذا الواقع يتبين أن الفضاء العمراني متغير جوهري في التأثير على التصرفات الحركية للأطفال وعلى نموه بصفة عامة، إلا أن فهم هذه العملية لا يجب أن يتوقف عند حدود وصف الظاهرة سطحياً كما قامت به الدراسات المذكورة سابقاً - بالرغم من أهميتها- لكن الأمر يستدعي القيام بدراسات براكسيولوجية بالتكامل مع مناهج أخرى (سوسيولوجية وبسيكولوجية مثلاً) يكون محور اهتمامها دراسة هذا التغير، من خلال تناول فضاء اللعب في المدينة باعتباره فضاء مقيداً: من حيث حجم اللعب، نوعية الألعاب (فرض وإقصاء أنواع معينة)، والأهم هو تغييره لمعنى الارتياح المرتبط بالفضاء. فبدلاً من أن تحمل الوضعية الحركية ارتياحاً يثري التصرف الحركي للاعب، يصبح تأثيره في الاتجاه العكسي (معيقاً) انطلاقاً من كونه منطقاً خارجياً لا يرتبط مباشرة ببنية اللعبة لكنه يحد من التصرفات الحركية. فكرة القدم أو أي لعبة على الرصيف أو في الشارع يمكن أن تشكل خطراً على الأطفال أثناء قيامهم بمختلف التصرفات الحركية، خاصة لدى الصغار في ظل نقص في إدراك مفهوم السرعة والمسافة، مما يزيد من احتمال الخطأ في تفسير المثيرات الخارجية (مرور السيارات مثلاً)، مما يعني أن هذا المثير سيكون عاملاً للحد من الحرية الحركية أو خطراً عليها. وبناء على ماسبق نوصي بضرورة إجراء المزيد من الدراسات حول الواقع اللبي الفعلي في الأحياء والمدن من أجل تقديم نظرة شاملة حول بنية تلك الوضعيات والتأثيرات الناجمة عنها سواء على المستوى الحركي، النفسي والاجتماعي. ومن جهة أخرى لا بد من تصميم الفضاءات العمرانية بطريقة تضمن للطفل مساحة أكبر للعب، وبصفة خاصة توفير بيئة طبيعية مليئة بالعناصر المحفزة للاكتشاف والابتكار، مع التقليل من الأخطار الناجمة عن الممارسة.

المراجع

1. بيار بارلوبا. (2021). ألعاب ورياضات ومجتمعات معجم اصطلاحي لعلم البراكسيولوجيا الحركية. (أحمد تركي، بوعبد الله سبع، و فريد موسى، المترجمون) تلمسان، الجزائر: النشر الجامعي الجديد.
2. تركات . ر & بوخراس. ر. (2018). تأثير البيئة الطبيعية من خلال اللعب الحر في تنمية القدرة الحركية لدى أطفال الفئة العمرية (7-10 سنوات) ، دراسة مقارنة بين أطفال المدن والأرياف على مستوى بعض المدارس الابتدائية لولاية تيزي وزو. مجلة علوم وممارسات الأنشطة البدنية الرياضية والفنية، 7(2)، 10-18. تم الاسترداد من <https://asjp.cerist.dz/en/article/51080>
3. كلثوم . ب. (2015). أي حضور لفضاء لعب الطفل في المدن الجزائرية في ضوء تحديات الثقافة الحضرية؟ دراسة ميدانية بالمدينة الجديدة " حملة - باتنة نموذجاً". مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية 3(1)، 101-1018. تم الاسترداد من <https://asjp.cerist.dz/en/article/81551>
4. محمد . ب . (2020). التربية البدنية والرياضية: في قلب تنشئة اجتماعية صامتة. مجلة الممارسة الرياضية والمجتمع، 3(1)، الصفحات 52-60. تم الاسترداد من <https://asjp.cerist.dz/en/article/123257>
5. بوقريين . م & علقمة . ج . (2019). مجال لعب الأطفال في المدن الجديدة بين التخطيط و الواقع حالة الوحدة الجوارية رقم 07 بالمدينة الجديدة علي منجلي. مجلة العمارة وبيئة الطفل، 4(1)، 33-51. تم الاسترداد من <https://asjp.cerist.dz/en/article/85571>
6. همت عزت كمال . أ . ف. (ماي ، 2018). مقارنة ووضع مستويات معيارية لبعض المهارات الحركية الأساسية لأطفال الريف والمدينة من 6 إلى 9 سنوات. تم الاسترداد في 4 سبتمبر 2024 من https://www.researchgate.net/publication/349428499_mqarnt_wwd_mstwyat_myaryt_lbd_almharat_alhrkyt_alasasyt_latfal_alryf_walmdynt_mn_6-9_snwat
7. Bordes, p., Lesage , T., & Level, M. (2013). Les jeux collectifs de rue: résurgences ou re-création? *Staps*(3), pp. 33-46.
8. Brougere, G. (1991). Espace de jeu et espace public. *Architecture & Comportement*, 7(2), p. 166.
9. Cleland, V., Crawford, D., Baur, L. A., Hume, C., Timperio, A., & Salmon, J. (2008). A prospective examination of children's time spent outdoors, objectively measured physical activity and overweight. *International journal of obesity*, 32(11), 1-9.
10. Ferreira, I., Van Der Horst, K., Wendel- Vos, W., Kremers, S., Van Lenthe, F. J., & Brug, J. (2007). Environmental correlates of physical activity in youth—a review and update. *Obesity reviews*, 8(2), 129-154.
11. Fjørtoft, I., & Sageie, J. (2000). The natural environment as a playground for children: Landscape description and analyses of a natural playscape. *Landscape and urban planning*, 48(1-2), 83-97.
12. GUEDOUDJ, W., & GHENOUCHE, A. (2018). L'espace public urbain: perçu, approprié et conditionné au jeu par l'enfant.

13. Grigsby-Toussaint, D. S., Chi, S. H., & Fiese, B. H. (2011). Where they live, how they play: Neighborhood greenness and outdoor physical activity among preschoolers. *International journal of health geographics*, 10(1) , 1-10.
14. Guichard, S., & Ader, J. (1991). La ville a jouer - Donner une place a l'enfant dans l'espacepublic. *Architecture et Comportement*, 7(2) , 123-136.
15. Ministère de l'Éducation et de l'Enseignement supérieur. (2018). A nous de jouer : l'exterieur, un terrain de jeu complet. (B. e. Québec, Éd.) Québec. Récupéré sur http://www.urlsgim.com/uploads/17-00395_Lexterieur-terrain-de-jeu_WEB.PDF
16. Noschis, K. (1992). L'enfant interieur et la ville. *Architecture & Comportement*, 8(1), pp. 59-68.
17. Parlebas, P. (1999). *Jeux, sports et sociétés : Lexique de praxéologie motrice*. Paris: INSEP-Éditions. doi:10.4000/books.insep.1067.
18. Vigne, M., & Joncheray, H. (2012). La pratique des jeux traditionnels du Nord de la France. *Rabaska: revue d'ethnologie de l'Amérique française*, 10, 29-45.